هواية صيد الحيوانات البرية في الأندلس

د. تواتية بودالية*

لقد ارتبطت حياة الانسان ارتباطا وثيقا بالطبيعة سواء كانت نباتية أو حيوانية، وهي القاعدة الأساسية لتوفير احتياجات الانسان للحياة، فالغابات والمنتزهات والحدائق مصدر ترفيه وترويح للإنسان، ولتحقيق هذه الرغبة ضمن بيئة متكاملة، كان الحيوان عنصرا ملازما للترويح من الناحية الجمالية والترفيهية. وجعل الله تعالى هذه الحيوانات مسخرة لمنفعة الإنسان وعمارة الأرض، وثروة مسخرة للانتفاع بها مع إباحة صيد الحيوان لقوله تعالى: "**وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا**"(سورة المائدة، الآية2). وأصبح الصيد عبر العصور نزهة الملوك ورياضة الأشراف وجماع أداب الحروب ونشرة الخواطر والقلوب[1].

وبهذا الخصوص غالباً ما يظهر موضوع الصيد كوسيلة تسلية محصورة بالطبقة الحاكمة في صور الفنون الإسلامية. ونحاول في هذا المقال القاء الضوء تفصيلا على "**هواية صيد الحيوانات البرية في بلاد الأندلس**" بهدف البحث والتدقيق والكشف عن مهارات وتقنيات الصائد الأندلسي حسب ما توفر لنا من معلومات.

1- أهمية الصيد: كان الصيد أحد أنماط الترويح الرياضي عند العرب؛ فالصيد كالحرب يحتاج إلى ذكاء وفرط وحيلة فهو ضرب من ضروب الرياضة والرزق ومتعة من متع النفس، يزاوله الملوك وكبار القوم كما يزاوله أرباب البطالة والغني، وصيد البر والبحر مما يدفع الملل عن الخصم كأنه في ساحة حرب[2]، وعلم الصيد باب واسع وعالمه في صناعته بارع[3]، وله حدود تلزم معرفتها[4].

وعن أهميته عدد صاحب البيزرة أن للصيد عشرة خصال: "أولها تمرين الخيل، الثانية رياضة النفس، الثالثة لذة من غير محرم، الرابعة اكتساب الشجاعة، الخامسة معرفة ذوي الألباب، السادسة أن ينكف عن الذنوب في وقت صيده، السابعة أن يستغني بالصيد عن أن يأكل في غير وقت الحاجة، الثامنة أنه يداوي ما به من الهموم والغموم، التاسعة أن الصيد يزيل عن الجسد بالحركات ما يولد الأوجاع ومن الفضلات والرطوبات ما يحركه تعب الصيد من الملاذ، العاشرة أنه يزيل الفكر ويحد النظر"[5].

*أستاذة محاضرة ب في تاريخ المغرب الإسلامي- شعبة التاريخ- قسم العلوم الإنسانية- جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر.

2- مواضع الصيد: الصيد مرهون باختيار الأرض التي تكثر فيها الحيوانات، وبلاد الأندلس من أهم الفضاءات الطبيعية التي تتنوع فيها الحيوانات البرية والمائية، ولقد أدرك الأندلسيون هذا التنوع الحيوي في بلدهم، وخاصة النخبة الحاكمة التي اختصت بقنص هذه الحيوانات في إطار التفاخر والتباهي، ولوحات التنافس بين الصيادين على مطاردة هذه الحيوانات النادرة [6] متنوعة. فقد كان خلفاء بين أمية على جملتهم ممن عكفوا على الصيد كما سنورده في حينه، وكان محمد بن أبي السعيد مشتغلا بالصيد[7]، وبالمثل كان اسماعيل بن فرج بن محمد بن نصر منقطعا إلى الصيد[8]، وأغرم ابنه محمد بن اسماعيل بالصيد[9].

وتختلف هذه الفضاءات الطبيعية بنوعيتها التضاريسية كالمرتفعات، فقد كان إقبال صيادي الأندلس على جبل شلير لاصطياد بعض الحيوانات كالثعالب والأرانب البرية والقنليات[10]، ومن نفس الجبل تجلب العقبان[11]، واشتهرت مدينة أشبونة ببزاتها الجبلية التي وصفت بأنها "أطير البزاة وأعتقها"[12]. وكانت المنيات التي اختص بها الحكام من جملة الفضاءات الطبيعية المخصصة للصيد فقد كان الخليفة عبد الرحمن الناصر يخرج متصيدا إلى منية الجنة بشرقي قرطبة[13].

ومن جهة أخرى تعتبر سواحل البحر والبحيرات والأودية أفضل فضاء لاستقطاب الصيادين، الذين يرغبون في البحث عن النّادر من الحيوانات وبخاصة المهاجرة والمائية منها والتي تظهر في مواسم معينة، فقد اشتهرت بحيرة البيرة بكثرة طيور الماء مثل دجاجة الوادي[14]. كما نجد العديد من الطيور تصطاد في سواحل الأندلس "ففي ساحل الجزيرة الخضراء موضع معروف على البحر لصيد الطير، يأتيه في كل أوان من العام جنس من الطير لا يأتي في غيره"[15]. ويذكر عن بعض الحكام أنهم مارسوا هواية الصيد في هذه المواضع المائية، فالأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية الداخل كان مولعا بصيد الغرانيق[16]بوادي شوش[17]، وكان الأمير الحكم بن هشام يخرج متنزها إلى جهة المدور للتروح[18]. والتزم الأمير عبد الرحمن بن الحكم بالتروح إلى إشبيلية وساحل البحر في زمان الخريف[19] حيث يمارس هناك هواية صيد الغرانيق[20]، قبل عودتها الى موطنها في زمن الربيع.

ومن الصعب حصر الفضاءات الطبيعية للصيد، نظرا لبعض النصوص التي لم تدقق المصادر في نوعيتها واكتفى البعض منها بتحديد المواقع الجغرافية فقط، نذكر مدينة أشبونة التي تمكن في ضروب الصيد برا وبحرا[21]، وعرفت غرناطة بالفحول الفارهة من الحيوان للإثارة[22]. وأجل الصيد والحجل كان بالحمة من أعمال المرية[23]. وبالمثل عرفت بليش وجزيرة ميورقة باهتمام أهلها بالصيد[24]. كما توجد النسور قي إقليم الجزيرة "ومن عندهم يجلب جلد النسر العجيب إلى سائر

أكثر بلاد الأندلس"[25]. واشتهرت قلعة جابر بكثرة الطير[26]. وبذلك ارتبط الصيد بالفضاء الطبيعي وبنوع الحيوان المصاد.

3- الحيوانات المصطادة: سخر الله الحيوان للإنسان لينتفع به، فمنها ما هو للأكل وللحرث، ومنها ما هو للصوف والوبر، وثروة مسخرة للانتفاع بها في النقل ومقاصد التعمير، وأحل له صيد بعض الحيوانات. وفي هذا المقام نوجز وصفا بسيطا لبعض الحيوانات المصطادة في الاندلس وهي:

- **الأرانب البرية:** حيوان كثير التوالد، يديه أقصر من رجليه، ولا يكبس برجليه على الأرض حتى لا يعرف الكلب والصياد آثار قوائمه حتى لا يشتبه عليهم طريقه[26].

- **القنليات:** حيوان أدق من الأرنب وأطيب في الطعم وأحسن وبرا، كثيرا ما تلبس فراؤها، ويستعملها النصارى[27].

- **الغزلان:**حيوان ذو قرن، وتنتشر في بلاد الاندلس[28]. كما نجد صنفا آخر يسمى اليحمور "وهو أحد أنواع الحيوانات اللبونه... من فصيلة الأيائل"[29].

- **الثعالب:** حيوان كثير الحيل عجيب الروغان والعطفات والمكر والالتفاف، يتخذ لوكره أبوابا حتى لو سد عليه باب يخرج من الاخر[30].

- **الخنزير:** حيوان سمج الشكل، صعب، له نابان كنابي الفيل يضرب بهما، ورأسه كرأس الجاموس، وله ظلف كما للبقر. وهو أروع من الثعلب في الفرار من الفارس[31].

- **الحمار الوحشي:** هذا النوع من الحيوان شديد الشبه بعضها ببعض، ومن عاداتها أنها لا ينقطع بعضها عن بعض ولو كانت ألوفا حتى لا يسهل صيدها[32].

- **الأسد:** هو أشد السباع قوة وأكثرها جرأة وأعظمها هيبة وأهولها صورة لأنه لا يهاب شيئا من الحيوان، ولا يوجد حيوان له شدة بطشه، وزعموا أنه لا يأكل من صيد غيره البتة[33]. فقد اتخذ الخليفة عبد الرحمن الناصر للأسود دارا "وهو من غريب ما يذكر، إرهابا لعذابه، وذلك من أفعال الجبابرة الملوك بالمشرق، ذهب إلى اقتفاء أثرهم فيها، وهذه الدار لها سباعون يضبطونها في الحديد ويطعمونها وظائفها الكافية من لحوم البقر إلا أنه زهد فيها أخر عمره، فعقرها وعطل رسمها"[34].

- **الغرنيق:** طائر من طيور الماء، أبيض طويل العنق، عريض الجناح طويل الساق[35].

- **الحجل:** طائر على قدر الحمام أحمر المنقار والرجلين، ويسمى دجاج البر[36].

- **الكركي:** طائر يجتمع مع بعضه البعض، يتميز بجسمه المستطيل المنتصب، وبساقيه الطويلتين، وعنقه الممشوق، ومنقاره الطويل المستقيم[37].

طائر الكركي

طائر الحجلة

طائر الغرنوق

4- فترات الصيد: تجتذب بعض المواسم الصيادين من الحكام والعامة الذين يقصدون الجبال والغابات والمنتزهات بحثا عن الطيور والحيوانات البرية، وحسب ما توفرت لنا من نصوص فإنّ أفضل المواسم للصيد تكون في فصلي الخريف والشتاء، لأنها من أنسب الأوقات التي يكون فيها الفراء أكثر رونقا وجمالا[38]، فضلا عن اقتناص الحيوانات المهاجرة والقادمة من الشمال والجنوب[39].

ومن ناحية أخرى، كان خروجهم في هذه الأوقات لتحقيق غرضين، أولا يرتبط خروج الصادين في هذا الموسم بالضرورة الملحة التي تقتضيها أحوال بعض المناطق الأندلسية التي تتعرض لهجمات بعض الحيوانات في فصل الشتاء كفصائل الثعالب والذئاب التي تحوم حول المدن والقرى فتسطو على الحظائر وتفسد المزروعات، لذلك عمد النّاس على القضاء عليها واصطيادها[40]. وبالتالي كان خروج الصيادين في هذه الموسم مرتبط بحماية النّاس من مضار بعض الحيوانات.

وعادة ما يصحب الصياد معه الكلب في فصل الشتاء لأنّه أكثر الحيوانات دهاء وذو حاسة شم قوي في هذا الفصل، وفي هذا الشأن يشرح ابن البيطار خروج الصياد مع الكلب بقوله: "يخرج يوم الثلج ووجه الأرض مغطى بالثلج ومعه الصياد المجرب فلا يعرف موضع الصيد البتة مع عقله وتجربته فيذهب يمينا ويسارا حتى يقف على موضع الصيد يسد بالنفس الخارج منها فيذيب ما ولاه من الثلج حتى يق ويخرج منه البخار وهذا غامض جدا يعرفه الكلب ولا يعرفه الصياد الماهر"[41]. وكانت الكلاب الأمهر على اصطياد الثعالب، لأنّ حليتها لا تخفى على الكلاب[42].

أما الغرض الثاني فيرتبط بالمتعة والترويح والبحث عن النّادر من الحيوانات، فقد كان الأمير عبد الرحمن بن الحكم يلتزم التروح إلى إشبيلية وساحل البحر في زمان الخريف[43] حيث يمارس

هناك هواية صيد الغرانيق[44]. وبالمثل ذكر الرازي أن الخليفة عبد الرحمن الناصر خرج لصيد الغرانيق في فصل الشتاء، ومعه ابن الشمر الشاعر فقال:

ليتَ شِعــري أم حديدُ خلقَا أم نحتنا من صخرة صمَاء
كلُ عام في الصيف نحن غزاةُ والغرانيقُ غزونَا في الشتَاء
إذْ نرى الأرضَ والجليدَ عليهَا واقعٌ مثــلَ شقــة بيضاء[45]

من الملاحظ أنّ الفترات التي ينشغل فيها الحكام بالصيد تكون على الأغلب في موسمي الخريف والشتاء، وذلك لانشغالهم في الحروب زمن الصيف. واختصاصهم بهذه المواسم يعني حماية التوازن البيئي بعيدا عن مواسم التكاثر في فصل الربيع. هذا الأمر الذي جعل بلاد الأندلس محط أنظار الصيادين للتنوع الحيواني بها.

5- لباس الصياد: تشتمل معدات الصياد على الملابس والأسلحة التي يقتات بها الفريسة، ويجب أن تناسب ملابسه أحوال الطقس والأرض التي ينوي الصيد فيها، وليس ما لدينا ما يشير إلى لباس الصياد الأندلسي سوى رسوم علبة المغيرة بن الخليفة عبد الرحمن الناصر والعلبة المحفوظة في المتحف الإقليمي لمدينة برغش[46]، والتي يبرز فيها لباس الفرسان من الصادين بشكل واضح، وهو نوع من الثوب القصير يصل إلى الركبتين ويتمنطق بنطاق عريض كما هو موضح في الصورة الموالية:

6- تقنيات وأساليب الصيد: لقد تنوعت تقنيات الصيد حسب تنوع طبائع الحيوان وخصائصها، وكان الأندلسيون ذوي خبرة ومهارة وفراسة في معرفة نقاط الضعف والقوة عند الحيوان. وعليه تنوعت كما يلي:

أ) **الصيد بالشباك:** الشبكة من أدوات الصيد البري والبحري، وهي تتخذ من خيوط بعض النباتات كالقطن والقنب، فقد كان صيادو طليطلة يقلعون نباتا له ورق كورق القنب المفلوح وساق كساق الخبازى وحب كحب الفقد، يقلعه الصيادون ثم ينقعونه في الماء ويدقونه كما يصنع

بالقنب ويغزل ويصنع منه شباك لصيد القنلية أي الأرانب[47]، ويختلف طول هذه الشباك باختلاف الطرائد التي تصاد بها[50].

ب) الصيد بالتطريب: لقد كانت بعض الحيوانات تستهوي الموسيقى والغناء وترتاح لها، فقد كان الأسد من أشرس الحيوانات التي يصعب اصطيادها، ولكن هذه الشراسة تهدأ بمجرد سماعه الغناء وصوت الدف والشبابة[51]، وهي من نقاط ضعفه التي تسهل عملية الاصطياد.

ج) استخدام الطعم: الطعوم هي خليط من مبيد حشري ومادة غذائية معروف عنها بأنها تجذب الحيوان المراد اصطياده إذا وضعت له، ومنها المخدرة التي تسكر الحيوان دون قتله وتستعمل خاصة لاصطياد الطيور كالحجل والكركي، ومنها القاتلة التي تستعمل للتخلص من مضار الحيوان المفترس كالأسد والنمر والخنزير والذئب.

وكانت الطعوم المخدرة من أسهل الطرق التي يصطاد بها الطير، ولا تحتاج إلى فراسة أو قوة أو آلة إنّما إلى مواد توضع كفخ للإيقاع بالفريسة من الطير، ومن ذلك أنه حتى يصاد الحجل "يؤخذ بذر البنج وأصوله فينقع في الماء يوما وليلة، ويلقى فيه القمح ويطبخ جميعا، ثم يعزل القمح ويلقى في مراعي الحجل فإنها تتحير وتؤخذ"[52]، وفي المنحى ذاته لاصطياد الكركي يجب أن ينقع الجرجير في خل ليلة، ثم يلقى حبها حيث يأوين، فإذا أكلنه سكرن حتى يؤخذن[53].

وإلى جانب الطعوم المخدرة كشفت كتب الفلاحة عن الطعوم السامة التي تقتل الحيوانات التي تضر بالأرض سواء ما يختص بالمحاصيل الزراعية أو أماكن الرعي أو أماكن الاستقرار، وكلها فضاءات تتعرض لها الحيوانات المفترسة. ومن بين هذه الطعوم التي تستغل في صيد الحيوان المفترس كالسباع "يؤخذ شحم ماعز ولوز مر يدقان ويصنع منه كتل ويطرح على طريق السباع، فإذا أكلته ماتت"[54]. ولقتل الخنازير يطبخ لها الشعير مع الدفلى ثم يجفف، ويبل بعصير بصل الفأر، ويلقى على طريقها فإن أكلته ماتت لوقتها[55]. وليس هذا فحسب فقد تنبهت كتب الفلاحة الى أهمية النباتات التي لا يقاومها الحيوان فقد كان الذئب لا يقرب موضعا في عنصل[56].

والجدير بالذكر أنّ الطعوم تستخدم لمصلحة الحماية من اعتداءات الحيوانات المفترسة، وثانيا لاصطياد نوع من الطيور، إما للحاجة البيولوجية وهي التغذية أو لتربيتها والعمل على تكاثرها.

د) الصيد بالآلة: الآلة من أبسط الوسائل التي استخدمها الصيادون باليد ولكنها تحتاج إلى تدريب وعناية من ممارسيها كالسيف والرمح والقوس، وعلى سبيل الذكر اشتهر أهل قلعة خولان— من

كورة شذونة- باللعب بالرماح والسيوف[57]. وفي عملية الصيد اشترط ابن جزي الغرناطي في هذه الآلات أن تكون محددة كالرمح والسّهم والسّيف[58].

وفي هذا الاتجاه، جمعنا بين النصوص المكتوبة والتحف المنقوشة للكشف عن هذه الآلات في مشاهد الصيد، ومن تلك القرائن، خرج سلطان غرناطة أبا سعيد بن محمد بن نصر يوماً للصيد فقابله خنزير جبلي، فطرح عليه نفسه، فكبا به فرسه واقترب الخنزير منه، فشهر الأمير سيفه وقضى عليه بضربة تحت عينيه أبانت فكيه. والظاهر من هذه الصورة سلوك الخنزير في مواجهة العدو، وطريقة الفارس في اصطياد الحيوان، وهو الموقف الذي أكده ابن البيطار بقوله: "يهرب (الخنزير) من الفارس حتى يطمع فيه، ويعدو خلفه ويتعب، ويكر عليه ويضرب الفرس أو الفارس ضربة شديدة بنابه يقتله"[59].

وعن مهارة الرماة في اصطياد الطيور بالسهم قال الرصافي أبو عبد الله الشاعر المشهور، وهو ابن رومي الأندلس عن غلام يرمي الطيور:

قالوا تصيبُ طيورُ الجوِ أسهُمهُ إذا رَماهَا فقلنا: عنْدنَا الخَبرُ
تعلمَت قوسهُ من قوسِ حَاجبه وأيد السهْمَ من أجفَانه الحُورُ
يلوحُ في بردة كالنقسِ حالكة كمَا أضاءَ بجنح الليْلة القمرُ
وربمَا راقض في خضْراء مُونقة كمَا تفتحُ في أوْراقِــه الزهرُ[60]

ومن المشاهد الواضحة المعالم بين الطريدة والصائد والتي تتحدث عن حالها تلك النقوش التي تهتم بأدق التفاصيل عن الصيد بهذه الآلات، نجد في الإطار الأعلى لعلبة بالنثيا المحفوظة بمتحف الآثار الوطني بمدريد صورة صياد يرمي غزالا بسهم[61]. وتُبرز علبة كاتدرائية بنبلونة صورة صياد يصارع أسدين في آن واحد، وقد أمسك بيده اليسرى رمحا يطعن به أسدا يهم بافتراسه، ويحمل بيده اليمنى درعا مستديرا[62]. وقد عثر على غطاء نفس العلبة على صورة لفرسان يتصيدون وحوشا، أحدهما يمسك رمحا يطعن به خنزيرا بريا ثنى رأسه إلى أعلى وظهرت على وجهه علامات الألم[63].

وشوهد في صندوق كنيسة سانتو دومنجو بسيلوس المحفوظة في المتحف الوطني ببرغش على صورة صيادين يشدون أقواسهم ويصوبون سهامهم إلى الأسود[64]. وبرز في صندوق كاتدرائية بالنثيا المحفوظة بمتحف الآثار الوطني بمدريد على صورة صياد يطعن أسدا برمح[65]. ويجب التذكير بأنّ هذه الآلات قد أخذت حيزا كبيرا من نقوش العلب العاجية الأندلسية، وسمحت بتصوير

مشاهد صيد وطرد، مع وضعية الفرسان ونوع الحيوان، وهو الأمر الذي لا يستهان به في ظل غياب النصوص المصدرية.

ه) الصيد بالحيوان: تعتبر الحيوانات المدربة وصديقة الإنسان عنصرا فاعلا في عملية الصيد وهي كما حددها ابن جزي الغرناطي بقوله: "يجوز عند الجميع الصيد بالكلاب والبازات والصّقور والعقاب، وكل ما يقبل التعليم"[66]. وغالبا ما كانت هذه الحيوانات تتكامل في مهمتها وتشترك في صيد نفس الطريدة، وعن ذلك يصف ابن حمديس مدى اكتمال عملية الصيد في وجود الصقر والكلب يقوله:

وساميةِ الألحْـــاظِ للصّـــَيْدِ قرِّبَتْ وَقدْ نامَ عنّا الليلُ وانتبَهَ الفجْرُ
بكرنا على أكتْادِها ندَّري بهَا طَرَائدَ معمورًا بها البلدُ القفر
تَسائل عَنْها السحبَ والتربَ جرأة جوارحُ فوْق الراح أعينها خزْر
فَوارِسُ أُفْدٌ أَقْبَلتْ في جَواشن مِنَ الرَقْم لمْ تخْلقْ لهَا البيض والسمر
وَغُضْفٌ ترى آذانهن لواحِظاً بهنّ صُرورٌ وهي من هبوة غبْرُ
وَمَرْو عَلا عِنْدَ النتاج حديدة نَتائِجُهَا مِنْهُ إذا وَضَعَتْ شقر[67]
هَفا بَيْنَنا مِنْها جناح بُوَيْزَةٍ كَقَادِمَةِ العُصْفور طَارَ بهَا الذعر

إنّ هذا التوافق بين الكلاب والجوارح يدل على مدى خبرة الصياد في تدريب هذه الحيوانات، والجمع بينها في صيد واحد، ويمكننا معالجة مهارة هذه الحيوانات في الصيد كل على حدا فيما يلي: **د-1/ الصيد بالكلاب:** الكلب حيوان كثير الرياضة، شديد المجاهدة، كثير الوفاء، دايم الجوع والسهر، يخدم بأدنى مراعاة خدمة كثيرة من الملازمة والحراسة ودفع اللص[68]. وأحسن كلاب الصيد السلوقي "أعظمها أجساما وأضخمها أذنابا وشدة احمرار أعينها كعيني الأسد، طويل الأنياب معقب المخالب، غليظ كثيف عريض الصدر معتدل، غليظ أصل البدن، دقيق طرفه، غليظ العنق، عريضه أشعر"[69].

وكشفت لنا النقوش العاجية صورا للكلب السلوقي، حيث ظهر في اللوحة العاجية المحفوظة بمتحف المتروبوليتان صورة كلبين سلوقيين متقابلين ينظران إلى أعلى[70]، وبالمثل ظهر نقش في العلبة الأسطوانية الشكل المحفوظة بمتحف فكتوريا وآلبرت بلندن يمثل كلبا سلوقيا[71]. وبرز في العلبة الأسطوانية الشكل المحفوظة بمتحف فكتوريا وآلبرت بلندن نقوش تمثل كلبا يطارد أرنبا

يعدو[72]. وتمثل الصورة الموالية من العلبة العاجية الأسطوانية المحفوظة في متحف اللوفر منظر كلبين يهاجمان فريستهما.

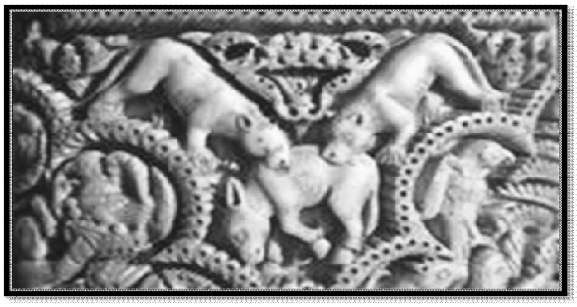

ويمتاز الكلب السلوقي برشاقة في الجسم، وخفة في الحركة، وسرعة فائقة في العدو، وطول نفس، وتصور بعض الأشعار الأندلسية الكلب تصويرا قويا، وخلعت عليه أجمل الأوصاف من شجاعة وخفة وبراعة في الوثوب على الفريسة واقتناصها. ومما حكي عن ذلك أن ابن المرعزي النصراني الإشبيلي أهدى كلبة صيد للمعتمد بن عباد وفيها يقول:

لم أرَ مَلهىً لذي اقتناصِ ومكسبا مقنعَ الحريص
كمثلِ خَطلاءَ ذات جيدِ أتلع في صفرة القميص
كالقوس في شكلها، ولكنْ تنفُذُ كالسَّهم للقنيصِ
إنْ تَخِذتْ أنفها دليلاً دلَّ على الكامن العَويصِ
لو أنها تيتثير برقا لم يجدِ البرْقُ من مَحيص[73]

ويضيف ابن خفاجة عن كلب الصيد:

وأخطَلَ لو تَعَاطَى سَبْقَ بَرْقٍ لَطارَ مِنَ الفِجاءِ بهِ جنَاحُ
يَسُوفُ الأرضَ يَسألُ عَن بَنيها فتُخبِرُ أنفَهُ عَنهُ الرّياحُ
أقَبّ إذا طَرَدتَ بهِ قَنيصاً تنكبَ قوسهُ الأجلُ المتاحُ
أطلّ برأسهِ ليلٌ بهيمٌ فشَدّ على مَخانقِهِ صَباحُ[74]

ويظهر من هذه الأبيات مدى تمتع كلاب الصيد الأندلسية بحاسة شمّ قوية وبصر حاد وسمع قوي مما يجعلها صيّادًا ماهرًا، ويتميز هذا الكلب بالقدرة على معرفة طريقة الاصطياد.

د-2/ الصيد على صهوات الخيل: الصيد على الخيل من الفروسية ويشترط فيها أن يكون الصائد ذو "اللباقة وصنيع الرماية وحسن الثباث على ظهور الخيل"[75]. وأغلب المشاهد التي عثرنا عليها تصف الصيادين الذين إمّا يسيرون على أقدامهم أو يمتطون الخيل، وترافقهم أحيانا

الحيوانات التي تقتات من الفرائس. وغالباً ما ترتبط هذه الصور بوسائل ترفيه الحكام إذ أن الصيد شكل جزءاً لا يتجزأ من حياة البلاط، فقد كان الخليفة عبد المؤمن بن علي يهب ابن حماد ألف مثقال مقابل ألف أسد يصطاده[76].

ويقول ابن حمديس يصف فرسًا يمتطي صهوته فارس شجاع، ويصف شجاعة الأسد المتجهم عند الانقضاض على فريسته بقوله:

يُقدّمهُ لِلْوَغي مِحرَبٌ كأنَّ الغضَنْفرَ في نثْلته[77]

وكشفت النقوش البارزة على العلب العاجية الأندلسية على تقنية الصيد على صهوات الخيل، فقد ازدانت العلبة العاجية الأسطوانية المحفوظة في متحف اللوفر بصورة فارسين يمتطيان جوادين متقابلين، يمسك الفارس اللجام باليد اليسرى (الشكل1)[78]. وذلك للحماية من الحيوانات المتوحشة فقد شوهد في صندوق كنيسة سانتو دومنجو بسيلوس المحفوظة في المتحف الوطني ببرغش على صورة فارس يركب جوادا مسرعا يحمي نفسه من أسد يهم بمهاجمته، ويحمل في اليد اليمنى سيفا(الشكل2)[79]. ومعظم العلب العاجية المتأخرة تحمل رسوما تمثل فرسانا يمتطون صهوات الخيل ويحملون صقورا[80].

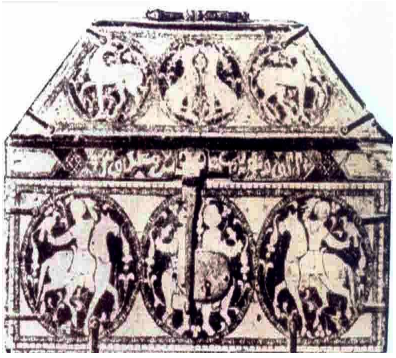

الشكل 1

الشكل2

د-3/الصيد بالطيور: لجأ الأندلسيون إلى طيور الباز لاصطياد بعض الطرائد كالحجل والحمام البري والظبي والثعلب وغيرها، ولمهارته في الصيد قال عنه ابن البيطار: "وصيده أعجب من صيد جميع الجوارح؛ فإذا أرسل صقران على ظبّي أو حمار وحش نزل أحدهما على رأسه ويضرب بجناحه عِلِيّهِ ثم يقوم الآخر ويفعلان ذلك حتى يشغلانه عن المشي حتى يدركه من يبطش به"[81]. واستخدمت طيور الباز لصيد العديد من الحيوانات وعن صيده للثعالب يقول ابن البيطار: "فإذا نزل عليه الجارح يضربه بجناحيه ليدركه الكلب ويخدشه الجارح خدشا لا يقربه بعد ذلك"[82].

ونظرا لهذه الأهمية التي اختصّ بها أهل الأندلس كانت تربيته رائجة، ويستوجب تدريبه خبرة ومهارة اشتهر بها الغرناطيون[83]. وازداد الطلب عليها بين الحكام إلى درجة غرامهم بها وتعيين من يهتم بشأنها داخل القصر يدعى صاحب البيازة ومنهم الفتى الصقلبي جؤدر[84]. فقد كان المعتمد بن عباد ملك إشبيلية من عشاق البزاة[85]، وهذا ابن طاهر حاكم مرسية يبعث إلى صاحبه ببلنسية المنصور عبد العزيز شواذ نقات ليستخدمها في رحلات صيده في جبال بلنسية[86]. وفي السياق نفسه يذكر ليفي بروفنسال أنّ الخليفة عبد الرحمن الناصر كان يخرج للصيد بالصقور في سهل الوادي الكبير، وكان يحب ملاحقة طائر الكركي بصفة خاصة لأنّه أكثر الطرائد طلبا[87]. ويفيدنا ابن البيطار في طريقة صيد الكركي بقوله: "إنّ الصقر مع صغر جثته يثب على الكركي مع ضخامته وذلك لشجاعة خلقها الله في الصقر يغلب بها الكركي"[88].

ومن المشاهد الفنية التي تقدم صورا دقيقة عن هذه التقنية، عثر في نقوش العلبة الأسطوانية الشكل المحفوظة بمتحف فكتوريا وآلبرت بلندن على صورة فارس يمتطي جواده يهم بالسير، وقد أمسك الفارس بيده اليسرى لجام الجواد وباليمنى صقرا (الشكل 2)[89]، هذه الصقور التي كانت تستعمل في الصيد وبخاصة الأرانب البرية وهي الصورة التي ظهرت على نفس العلبة[90]. ومعظم العلب العاجية المتأخرة تحمل رسوما تمثل فرسانا يمتطون صهوات الخيل ويحملون صقورا[91] كما هو موضح في الشكل(1).

وأخيرا، نظرا للتنوع الحيوي الحيواني في الأندلس سواء كان من المحلي أو الدخيل على البلاد فإنّ التأقلم مع البيئة كان جد متكامل، وهواية الصيد معالمها واسعة في بلاد الأندلس، وغرام الحكام بها جعلهم يعينون لها منصبا صاحب البيازة، كما أنّ المهارة في الصيد تنوعت من آلات وطعوم وشباك، والصيد بالكلاب والطيور، وكلها في الواقع تفتح مجالا للمهارة والفراسة والخبرة في صيد الحيوانات عند أهل الأندلس وبخاصة الطبقة الحاكمة. والملاحظة الجديرة بالتسجيل أنّ الصيد في الأندلس لم يكن صيدا مفرطا إلى حد استتراف الثروة الحيوانية، ولكن كان موسميا من أجل المتعة الجمالية والترفيهية، ومن أجل القضاء على الحيوانات التي تضر بالإنسان في الفترات التي تكثر فيها، وهو الأمر الذي سمح بتحقيق التوازن البيئي.

الهوامش:

1- القاسم الشريفي، القوانين السلطانية في الصيد، مكتبة فاتح، اسطنبول، تحت رقم 2508، ورقة 37.---- 2- سيدي محمد المنقالي، كتاب انس الملا بوحش الفلا، طبعة باريس، 1880 ص15.

3- ابن رشد القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد (ت 595هـ/ 1198م)، المسائل، تحقيق محمد الحبيب التجكاني، دار الأفاق الجديدة المغرب، تطوان، ط2 (1993م)، ج1، ص566.---- 4- سيدي محمد المنقالي، المصدر السابق، ص18-19.

5-Ahmed Razi ,La Description de L' Espagne, Provencal ,Al-Andaus ,Vol 12.Paris,1953. pp 62,90.

6- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 776هـ/1374م)، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، دراسة وتحقيق محمد مسعود جبران، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1(2009م، ص60.---- 7- المصدر نفسه، ص 104.---- 8- نفسه، ص116.

9-الحيوان المعروف بالقنلية، حيوان أدق من الارنب وأطيب في الطعم وأحسن وبرا. المقري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت1041هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت(1988م)، ج1، ص198

10-الزهري، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت بعد 556هـ/1160م)، كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مجلة الدراسات الشرقية، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق، ط1968م، ص94.

11- ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك (685هـ/1286م)، المغرب في حلى المغرب، تحقيق خليل المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، ج1، ص334./AL-Razi; op.cit, p92

12- ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف (ت469هـ/1076م)، المقتبس، تحقيق بيدرو شالميتا وآخرين، المعهد الإسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، ط1979م،ج5، ص41، 223، 424.---- 13- المصدر نفسه، ص.102

14- ابن الدلائ، أحمد بن عمر بن أنس العذري(478هـ/1085م)، نصوص عن الأندلس من كتاب "ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك"، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1965م، ص120.

15- مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت، ص107.

16- مجهول، المصدر نفسه، ص 100.---- 17- محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني، قضاة قرطبة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط2، 1989م، ص 71.---- 18- المصدر نفسه، ص 112.---- 19- ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص 125.

20- المصدر نفسه، ج1، ص 334.----21- ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص47.

22- ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 776هـ/1374م)،، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2006م، ص124.

23- المصدر نفسه، ص107.---24- العذري، المصدر السابق، ص120.---25- ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص291.

26- يوسف شكري فرحات، غرناطة في ظل بني الاحمر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1993م، ص115

27-القزويني، زكريا بن محمود بن محمود (600-682هـ)، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، دار الشرق العربي، بيروت، ص300/ابن البيطار، المصدر السابق، ورقة 24.----28-المقري، المصدر السابق،ج1، ص198.----29- تقويم البلدان، ص167.

30-Al-Razi la Description de L'Espagne, p.62

31-القزويني، المصدر السابق، ص303/ابن البيطار، المصدر السابق، ورقة30.----32-ابن البيطار، المصدر السابق، ورقة60.

33-القزويني، المصدر السابق، ص289/ابن البيطار، المصدر السابق، ورقة18.---34-القزويني، المصدر نفسه، ص300/ابن البيطار، المصدر نفسه، ورقة28.---- 35-ابن حيان، المصدر السابق، تحقيق بيدرو شالميتا، ص 39 .

36-الدميري، كمال الدين، حياة الحيوان الكبرى ج2، ص217- أحمد بم عبد الوهاب النويري(ت732هـ/1332م)، تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مصطفى ابو ضيف احمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985م، ص272 .

37-الدميري، المصدر السابق، ج1، ص272.---- 38-المصدر نفسه، ج2، ص323.

39-Lombard Maurice. La chasse et les produits de la chasse dans le monde musulman (VIIIe-XIe siècle). In: Annales. Économies, Sociétés, Civilisations. 24e année, N.3, 1969. P. 582.---- 40-Opcit, p582.

41- ابن البيطار، ضياء الدين عبد الله بن أحمد المالقي (ت646هـ/1249م)، مخطوطة منافع الحيوان وخواص المفردات، المكتبة الوطنية بفرنسا، تحت رقم Arab 2771.، ورقة99.----42- المصدر نفسه، ورقة 25.---- 43- نفسه، ص 112.

44- ابن حيان، المقتبس، تحقيق محمود علي مكي، ص 161.----45- ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص 125.

46- المصدر نفسه، ج1، ص 125.----47- مانويل جوميث مورينو، الفن الإسلامي في إسبانيا، ترجمة السيد عبد العزيز سالم وعبد البديع لطفي، الدار المصرية، للتأليف والترجمة، القاهرة، ط1977م، ص365.

48- أبو خير الإشبيلي (5هـ/11م)، عمدة الطبيب في معرفة النبات، تحقيق محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1995م، ج2، ص512.----49- عبد الرحمن رأفت باشا، الصيد عند العرب، دار النفائس، بيروت، ط3، 1983م، ص88.

50-ابن حجاج الاشبيلي، أبو عمر أحمد بن محمد (ت 466هـ/1073م)، المقنع في الفلاحة، تحقيق صلاح حرار وجاسر أبو صفيه، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، ط(1982م)، ص79- الزهراوي، أبو القاسم خلف بن عباس(ت 404هـ/1014م)، مخطوطة كتاب الفلاحة، مخطوطة خاصة من خزانة أسرة الفكون بقسنطينة. ورقة25أ.--- 51- ابن حجاج الاشبيلي، المصدر نفسه، ص79- الزهراوي، المصدر نفسه، ورقة25أ.

52-ابن حجاج الاشبيلي، المصدر نفسه، ص79/الزهراوي، المصدر نفسه، ورقة25ب.----53-ابن حجاج الاشبيلي، المصدر نفسه، ص80/الزهراوي، المصدر نفسه، ورقة25ب.---- 54- ابن حجاج الاشبيلي، المصدر نفسه، ص80/الزهراوي، المصدر نفسه، ورقة25ب.

55- ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص233.----56- ابن حزي الغرناطي، أبو القاسم محمد بن أحمد المالكي (693-741هـ/1294-1340م)، القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، تحقيق محمد بن سيدي محمد مولاي، وزارة الأوقاف الكويتية،(د.ت.). ص305.---57- ابن البيطار، المصدر السابق، ورقة 27.----58- المقري، المصدر السابق، ج3، ص487.

59- السيد عبد العزيز سالم، تحف العاج الأندلسية في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية(د.ت)،ص69.

60- المرجع نفسه، ص60.---61- نفسه، ص61.---62- نفسه، ص66.---63- نفسه، ص69.

64- ابن حزي الغرناطي، المصدر السابق، ص305.---65- ابن حمديس: ديوان ابن حمديس، تحقيق الدكتور محمد عبّاس، دار صادر، بيروت، ط 1960م، ص177.---66- ابن البيطار، المصدر السابق، ورقة99.

67- سيدي محمد المنقالي، المصدر السابق، ص36.---68- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص45.---69- المرجع نفسه، ص45.

70- نفسه، ص55.----71- ابن سعيد، المصدر السابق، ج1، ص195-196/المقري، المصدر السابق، ج3، ص521.

72- ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، تحقيق عبد الله سنده، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2006، ص74-75.

73- سيدي محمد المنقالي، المصدر السابق، ص15.----74- ابن عذاري، قسم الموحدين، ص.46

75- ابن حمديس، المصدر السابق، ص71.---76- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص52.---77- المرجع نفسه، ص66 .

78- نفسه، ص72.---79- ابن البيطار، المصدر السابق، ورقة 79.----80- المصدر نفسه، ورقة 26.

81- يوسف شكري فرحات، المرجع السابق، ص115----82- ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً سنة 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ليفي بروفنسال، ج.س. كولان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2009م، ج2، ص392،387/ابن حيان، المقتبس، تحقيق عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1983م، ص119.

83- المقري، المصدر السابق، ج4، ص260.----84- ابن خاقان، أبو النصر الفتح بن محمد بن عبيد الله القيسي (ت 528هـ/1140م)،، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق حسين يوسف خريوش، مكتبة المنار للطباعة والنشر، الأردن، ط1، 1989م، ص65.

85- ليفي بروفنسال، حضارة العرب في اسبانيا، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص56.

86- القزويني، المصدر السابق، ص300/ابن البيطار، المصدر السابق، ورقة28.----87- ابن البيطار، المصدر السابق، ورقة79.

88- السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص55.---89- المرجع نفسه، ص55.----90- نفسه، ص72

ABSTRACT: *Andalusia has known wild hunting hobby, and the ruling elite in particular facilitated the hunting ways, and the hunting places diversified by different animals, and each animal class has it's own method of hunting, and projector to fetch and seized either with the machine or animal or the net. This is evidence of the Andalusian Hunting passionfor these animals, and his experience in knowing their characteristics and natures so obtained for the benefit of psychological, biological, recreational or commercial.*